

هل فعلا كتب ابن الجوزي كتاب: أخبار الحمقى والمغفلين؟

أ.د. ناصر بن صالح الزايد

nalzayed@gmail.com

يمتلىء الكتاب المنسوب لابن الجوزي المعنون "أخبار الحمقى والمغفلين" بمقاطع (أخبار) صريحة في الاستهتار بالدين والقرآن ومعالم الدين وشعائره، وعلمائه بل حتى الله - جل وعز - لم يسلم من الاستخفاف. ويستحيل أن يقع في مثل هذا عالم جليل مثل ابن الجوزي، كما يستحيل أن تقع مثل تلك المخالفات الشنيعة في الأمة خلال القرون الخمسة الأولى التي دارت حولها مادة الكتاب الطبعة الأولى - دار الفكر اللبناني 1410 هـ - وبناء على ما سوف يتضح من الاقتباسات التالية، فإني أعتقد أن هناك احتمالان: الأول: أن الكتاب بجملة مذكوب على ابن الجوزي، الثاني: أن أصل الكتاب ثابت له ولكن تمت إضافة وتلاعب من قبل آخرين في وقت متأخر. وهنا بعض الملاحظات للتوضيح (بدون ذكر أرقام الصفحات لأنني أصور المقطع وألصقه بشكل مباشر):

أولاً: الاستهتار باللحية الطويلة وربط السفه وقلة العقل بها

قال الجاحظ: أخبرني أبو العنيس^(١) قال: كان رجل طويل اللحية أحرق جارنا، وكان أقام بمسجد المحلة يعمره ويؤذن فيه ويصلي، وكان يعتمد السور الطوال ويصلي بها، فصلى ليلة بهم العشاء فطوّل، فضجوا منه وقالوا: اعتزل مسجدنا حتى نقيم غيرك، فإنك تطول في صلاتك وخلفك الضعيف وذو الحاجة، فقال: لا أطول بعد ذلك، فتركوه، فلما كان من الغد أقام وتقدم فكبر وقرأ «الحمد»، ثم فكر طويلاً وصاح فيهم: إيش تقولون في عبس؟ فلم يكلمه أحد إلا شيخ أطول لحية منه وأقل عقلاً، فإنه قال: كيّسة، مر فيها.

وهذا مجرد مثال والأخبار في هذا الجانب كثيرة ومبثوثة في ثنايا الكتاب.

ثانياً: الاستخفاف بالقرآن الكريم:

وقرأ إمام في صلاته: (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَنَّاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ خَمْسِينَ^(٢) لَيْلَةً)، فجذبه رجل وقال: ما تحسن تقرأ، ما تحسن تحسب.

ومثال آخر:

قال ابن كامل وحدثنا أبو شيخ الأصبهاني محمد بن الحسين قال: قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة^(٥) في التفسير: ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ خَبَارِينَ﴾^(٦)، يريد قوله: ﴿جَبَّارِينَ﴾.

لاحظ أن عثمان بن أبي شيبة هو أحد حفاظ الأحاديث النبوية، فهذا الخبر جمع بين الاستخفاف بالقرآن وبالعالم من علماء الأمة.

وهنا مثالان آخران عن نفس الشيخ عثمان بن أبي شيبة:

وقال القاضي المقدمي: قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة: ﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَجُلٍ أَخِيهِ﴾، فقليل له: ﴿فِي رَجُلٍ أَخِيهِ﴾، فقال: تحت الجيم واحدة.

وعن محمد بن عبد الله الخضرمي أنه قال: قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة: ﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ سُنُورَ لَهُ نَابٌ﴾^(٣)، فقليل له: إنما هو: ﴿سُورٍ لَهُ نَابٌ﴾، فقال: أنا لا أقرأ قراءة حمزة^(٤)، قراءة حمزة عندنا بدعة.

انظر ماذا قيل في هذا الشيخ:

هو الإمام الحافظ الكبير المفسر، أبو الحسن، عثمان بن محمد بن القاضي أبي شيبة، صاحب التصانيف، وأخو الحافظ أبي بكر. ولد بعيد الستين ومائة وحدث عن شريك، وأبي الأحوص، وجريير بن عبد الحميد، وهشيم بن بشير، وسفيان بن عيينة، وحמיד بن عبد الرحمن، وطلحة بن يحيى الزرقى، وعبد الله بن المبارك، وعلي بن مسهر، وعبد بن سليمان، وإسماعيل ابن عليّة، وأبي معاوية، ووكيع، وابن فضيل، ويحيى بن آدم، وعفان، وأبي نعيم، ويزيد بن هارون، وخلق كثير.

حدث عنه: البخاري، ومسلم، واحتجابه في كتابيهما، وأبو داود، وابن ماجه في "سننهما"، وأبو حاتم، والفسوي، وإبراهيم الحري، وإبراهيم بن أبي طالب، وبقي بن مخلد، وعبد الله بن أحمد، وأبو بكر أحمد بن علي المروزي، وزكريا خياط السنة، وأبو يعلى، والفريابي، والبغوي، وأحمد بن الحسن الصوفي، وولده الحافظ محمد بن عثمان، ومطين، وعدد كثير. سئل عنه أحمد بن حنبل، فأثنى عليه، وقال: ما علمت إلا خيرا وقال يحيى بن معين: ثقة مأمون.

فكيف يسوغ لنا أن نصدق أن مثل هذا الشيخ يقع بأخطاء شنيعة وغير مقبولة في القرآن الكريم مثل تلك المذكورة؟ والأمثلة كثيرة وإنما ذكرت مثالا واحدا أو اثنين للتوضيح فقط.

ثالثا: الاستهتار بشعيرة الصلاة ووصف المسلمين بأنهم يتلاعبون بالصلاة ويقطعونها لأتفه الأسباب وهي كثيرة في الكتاب ومنها:

وتقدم إمام فضلي، فلما قرأ «الحمد» افتتح بسورة يوسف، فانصرف القوم وتركوه، فلم أحس بانصرافهم قال: سبحان الله! ﴿قل هو الله أحد﴾، فرجعوا وصلوا معه.

وقرأ إمام في صلاته: ﴿إذا الشمس كورت﴾، فلما بلغ قوله: ﴿فأين تذهبون﴾، ارتج⁽³⁾ عليه وجعل يردد حتى كادت تطلع الشمس، وكان خلفه رجل معه جراب، فضرب به رأس الإمام وقال: أما أنا فأذهب، وهؤلاء لا أدري إلى أين يذهبون.

رابعا: سوء الأدب مع الله - عز وجل -

وعنه أنه قال: حج أعرابي فدخل مكة قبل الناس وتعلق بأستار الكعبة وقال: اللهم اغفر لي قبل أن يدهمك الناس.

وكان أعرابي يقول: اللهم اغفر لي وحدي، ف قيل له: لو عممت بدعائك فإن الله واسع المغفرة، فقال: أكره أن أثقل على ربي.

عن أبي سعيد الحربى قال: كان إبراهيم بن الخصيب أحمق وكان له حمار، وكان بالعشي إذا علق الناس المخالي أخذ مخللة حمارة فقرأ عليها (قل هو الله أحد)، وعلقها عليه فارغة وقال: لعن الله من يرى أن مكوك شعير خير من (قل هو الله أحد)، فما زال حتى نفق الحمار، فقال: والله ما ظننت أن (قل هو الله أحد) تقتل الحمير، هي والله للناس أقتل لا قرأتها ما عشت.

باختصار شديد، هناك علامات استفهام كثيرة وكبيرة على مادة هذا الكتاب وعلى أهداف من كتبها ونشرها بين الأمة. وحتى تتضح الصورة فقد قرأت كتابا آخر لنفس المؤلف بعنوان " أخبار الظراف والمتماجنين " فلم أجد فيه شيئا مما مر علينا أعلاه من هذه الأقوال الشنيعة، بل حكايات وأخبار مروية تتسم بالطرافة ولكنها نظيفة وبعيدة عن الإسفاف الذي شاهدناه في الكتاب الأول. ولذلك فلدي علامات استفهام كبيرة عما كتب هذا الكتاب الماجن ونسبه لهذا العالم الجليل، أو ربما أخذ نواة الكتاب وأضاف عليها الكثير من المغالطات.

والله من وراء القصد